(سورة غافر)

{ حـم} { تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ }
{ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ
لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }

هـذه { حـم } أي: الحـق المحتجـب بمحمـد فهـو حـق بالحقيقـة، محمـد بالخليقـة، أحبـه فظهـر بصورتـه فـكان ظهـوره بـه { تنزيـلُ الكتـابِ } المحمـدي { مـن اللـه } أي: ذاتـه الموصوفـة قـد تجمـع صفاتـه { العزيـز } بسـتور جلالـه حـال كـون الكتـاب قرآنـاً { العليـم } الظاهـر بعلمـه، فيكـون فرقانـاً فقولـه: (حـم) معنـاه في الحقيقـة: لا إلـه إلا اللـه محمـد رسـول اللـه، أي: الحـق الباطـن حقيقتـه الظاهـر بمحمـد هـو تنزيـل الكتـاب الـذي هـو عـين الجمـع الجامـع للـكل المكنـون بعزّتـه في سرادقـات جلالـه المتنـزل في مراتـب غيوبـه ومظاهـر عليـة في الصـورة المحمديـة التـي ظهـر علمـه بهـا في مظهـر العقـل الفرقـاني.

{ غافـر الذنـب } بظهـور نـوره وسـتره لظلـمات النفـوس والطبائـع { وقَابِـلِ التـوب } برجـوع الحقيقـة المجـرّدة مـن غـواشي النشـأة إليـه { شـديد العقـاب } للمحجـوب الواقـف مـع الغـير بالـشرك غـير الراجـع إليـه بالتوحيـد { ذي الطـول } أي: الفضـل بإفاضـة الكـمال الزائـد عـلى نـور الاسـتعداد الأول عـلى حسـب قبولـه { لا إلـه إلا هـو } أولاً وآخـراً وظاهـراً وباطنـاً معاقبـاً ومتفضـلاً { إليـه } مصـير الـكل عـلى كل الأحـوال مـن الراجـع التائـب والواقـف المعاقـب إمـا إلى ذاتـه أو صفاتـه أو أفعالـه كيـف كان لا يخـرج عـن إحاطتـه شيء فيكـون خارجـاً عـن ذاتـه موجـوداً بوجـود غـير وجـوده،

{ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[فصلت، الآية:٥٣].

{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلاَدِ }
{ كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ
وَهَمَّتْ كُـلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِٱلْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }

{ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ }
{ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ }

{ ما يجادل في آيات الله إلا } المحجوبون عن الحق لأن غير المحجوب يقبلها بنور استعداده من غير إنكار لصفاته. وأما المحجوب فلظلمة جوهره وخبث باطنه لا يناسب ذاته آياته فينكرها ويجادل فيها { بالباطل } ليدحض بجداله آياته فيحق له العقاب { الذين يحملون العرش } من النفوس الناطقة السماوية اللاتي أرجلهم في الأرضين السفلى بتأثيرهم فيها وأعناقهم مرقت من السموات العلى لتجرّدهم منها وتدبيرهم إياها أو الأرواح التي هي معشوقاتها { ومن حوله } من الأرواح المجرّدة القدسية والنفوس الكوكبية { يسبحون بحمد ربهم } ينزهونه عن اللواحق المادية بتجرّد ذواتهم حامدين له بإظهار كمالاتهم المستفادة منه تعالى فكأنهم يقولون بلسان الحال: يا من هذه صفاته وهباته { ويؤمنون به } الإيمان العياني الحقيقي { ويستغفرون للذين آمنوا } بالأمداد النورية والإفاضات السبوحية لمناسبة ذواتهم ذواتهم في الحقيقة الإيمانية

{ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً } أي: شملت رحمتك وأحاط بالكل علمك

{ فاغفر } بنورك { للذين تابوا } إليك بالتجرّد عن الهيئات الظلمانية والظلمات الهيولانية{ واتّبعوا سبيلك } بالسلوك فيك على متابعة حبيبك في الأعمال والمقامات والأحوال يتنصلون عن ذنوب أفعالهم وصفاتهم وذواتهم { وقِهِمْ } بعنايتك { عذاب } جحيم الطبيعة.

{ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }
{ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ }

{ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ }{ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُو فَٱلْحُكْمُ للَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ }

{ ربنا وأدخلهم جنات } صفاتك وحظائر قدسك { التي وعدتهم ومن صلح } بالتجرّد عن الغواشي المادية واستعدّ لذلك بالتزكية والتحلية من أقاربهم المتصلين بهم للمناسبة والقرابة الروحانية { إنك أنت العزيز } الغالب القادر على التعذيب { الحكيم } الذي لا يفعل ما يفعل إلا بالحكمة ومن الحكمة الوفاء بالوعد { وقهم السيئات } بتوفيقك وحسن عنايتك وكلاءتك.

{ ومن تق السيئات } فقد حقّت له رحمتك { وذلك هو الفوز العظيم }لأن المرحوم سعيد، والمحجوب يمقت نفسه حين تظهر له هيئاتها المظلمة وصفاتها المؤلمة وسواد وجهه الموحش وقبح منظرها المنفر بارتفاع الشواغل الحسيّة التي كانت تشغله عن إدراك ذاته فينادى: { لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم } إذ هو نور الأنوار وكلما كان الشيء أشدّ نورية وأكثر ضوءاً فهو أبعد مناسبة من الجوهر المظلم الكدر، فيكون أشدّ مقتاً له، ومقته لنفسه أيضاً ناشىء من النور الأصلي الاستعدادي لانطباع محبة النور في الأصل الاستعدادي النوري، بل النور لذاته محبوب والظلمة مبغوضة.

{ إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون } أي: كبُرَ مقته إياكم وقت احتجابكم عنه وعدم قبولكم للدعوة إلى الإيمان التوحيدي أو لاحتجابكم وآبائكم عن الدعوة الإيمانية.

{ قالوا ربنا أمتنا اثنتين } أي: أنشأتنا أمواتاً مرتين { وأحييتنا } في النشأتين

{ فاعترفنا بذنوبنا } عند وقوع العقاب المرتب عليها وامتناع المحيص عنه { ذلكم } العذاب السرمد والمقت الأكبر بسبب شرككم واحتجابكم عن الحق بالغير { فالحكم لله } بعقابكم الأبدي لا للغير فلا سبيل إلى النجاة لعلوّه وكبريائه فلا يمكن أحداً ردّ حكمه وعقابه.

{ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقاً
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ }
{ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ }
{ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلاَقِ } { يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ }
{ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ }
{ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ
مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ }
{ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ }
* { وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ } { أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً
فِي ٱلأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ }
{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُواْ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }
{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }
{ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُواْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ }
{ فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُواْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ
وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }
{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلأَرْضِ ٱلْفَسَادَ }

{ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ }
{ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً
أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }
{ يٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي ٱلأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ ٱللَّهِ
إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ }
{ وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ ٱلأَحْزَابِ }
{ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ
وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ }
{ وَيٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ }
{ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } { وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ
مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ
لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ }
{ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ
وَعِندَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ }

{ هوالذي يريكم } آيات صفاته بتجلياته { وينزل لكم } من سماء الروح { رزقاً } حقيقياً ما أعظمه وهو العلم الذي يحيا به القلب ويتقوى { وما يتذكّر } أحواله السابقة بذلك الرزق { إلاّ من ينيب } إليه بالتجرّد وقطع النظر عن الغير فأنيبوا إليه لتتذكروا بتخصيص العبادة به وإخلاص الدين عن شوب الغيرية وتجريد الفطرة عن النشأة ولو أنكر المحجوبون وكرهوا.

{ رفيع الدرجات } أي: رفيع درجات غيوبه ومصاعد سمواته من المقامات التي

يعرج فيها السالكون إليه { ذو العرش } أي: المقام الأرفع المالك للأشياء كلها { يلقي الروح } أي: الوحي والعلم اللدني الذي تحيا به القلوب الميتة { من } عالم { أمره على من يشاء من عباده } الخاصة به أهل العناية الأزلية { لينذر يوم } القيامة الكبرى الذي يتلاقى فيه العبد والربّ بفنائه فيه أو العباد في عين الجمع. { يوم هم بارزون } عن حجاب الأنيات أو غواشي الأبدان { لا يخفى على الله منهم شيء } مما ستروا من أعمالهم واستخفوا بها من الناس توهماً أنه لا يطلع عليهم لظهورها في صحائفهم وبروزها من الكمون إلى الظهور، كما قال:

{ أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ } [المجادلة، الآية:٦]، وقالوا:

{ مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا }

[الكهف، الآية:٤٩]، ولا يخفى عليه منهم شيء لبروزهم عن حجب الاوصاف إلى عين الذات { لمن الملك اليوم } ينادي به الحق سبحانه عند فناء الكل في عين الجمع فيجيب هو وحده { لله الواحد } الذي لا شيء سواه { القهار } الذي أفنى الكل بقهره { إنّ الله سريع الحساب } لوقوعه دفعة باقتضاء سيئاتهم المكتوبة في صحائف نفوسهم تبعاتها وحسناتها ثمراتها { وأنذرهم يوم الأزفة } أي: الواقعة القريبة وهي القيامة الصغرى { إذ القلوب لدى الحناجر } لشدّة الخوف.

{ كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب } كقوله:

{ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } [غافر، الآية:٢٨]

أي: الإضلال والخذلان كل واحد منهما مرتب على الرذيلتين العلمية والعملية. فإن الكذب والارتياب كلاهما من باب رذيلة القوة النطقية لعدم اليقين والصدق والإسراف عن رذيلة القوتين الأخريين والإفراط في أعمالها.

{ وَقَالَ فَرْعَوْنُ يٰهَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ ٱلأَسْبَابَ }
{ أَسْبَابَ ٱلسَّمٰوٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ }
{ وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ }
{ يٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ }

{ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ }

{ وَيٰقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُـمْ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ }

{ تَدْعُونَنِي لأَكْـفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَاْ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ }

{ لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلاَ فِي ٱلآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ }

{ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُـمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ }

{ فَوقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَـرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ }

{ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُواْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ }

{ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّـارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْـبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ ٱلنَّارِ }

{ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ }

{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ ٱلْعَذَابِ }

{ قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }

والصرح الذي أمر فرعون هامان ببنائه هو قاعدة الحكمة النظرية من القياسات الفكرية، فإن القوم كانوا منطقيين محجوبين بعقولهم المشوبة بالوهم غير المنوّرة بنور الهداية، أراد أن يبلغ طرق سموات الغيوب ويطلع على الحضرة الأحدية بطريق الفكر دون السلوك في الله بالتجريد والمحو والفناء ولاحتجابه بأنائيته وعلمه قال { وإني لأظنه كاذباً وكذلك } أي: مثل ذلك التزيين والصدّ { زيّن لفرعون سوء عمله } لاحتجابه بصفات نفسه ورذائله

{ وصدّ عن السبيل } لخطئه في فكره، أي: فسد علمه ونظره لشدة ميله إلى الدنيا ومحبته إياها بغلبة الهوى بخلاف حال الذي آمن حيث حذر أولاً من الدنيا بقوله: { يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار } لسرعة زوال الأولى وبقاء الأخرى دائماً { أدعوكم إلى النجاة } أي: التوحيد والتجريد الذي هو سبب نجاتكم { وتدعونني } إلى الشرك الموجب لدخول النار { وأشرك به ما ليس لي } بوجوده علم إذ لا وجود له { وأنا أدعوكم إلى العزيز } الغالب الذي يقهر من عصاه { الغفّار } الذي يستر ظلمات نفوس من أطاعه بأنواره.

{ لا جرم } إلى آخره، أي: وجب وحق { أنّ ما تدعونني إليه } لا دعوة له في الدارين لعدمه بنفسه واستحالة وجوده فيهما { النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً }

أي: تصلى أرواحهم بنار الهيئات الطبيعية واحتجاب الأنوار القدسية والحرمان عن اللذات الحسيّة والشوق إليها مع امتناع حصولها.

{ ويوم تقوم الساعة } بمحشر الأجساد أو ظهور المهدي عليه السلام.

قيل لهم: ادخلوا { أشد العذاب } لانقلاب هيئاتهم وصورهم وتراكم الظلمات وتكاثف الحجب وضيق المحبس وضنك المضجع على الأول، وقهر المهدي عليه السلام إياه وتعذيبه لهم لكفرهم به وبعدهم عنه ومعرفته إياهم بسيماهم على الثاني.

{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهَادُ }

{ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ }

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ }

{ هُدًى وَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ }

{ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِبْكَارِ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ

إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ }

{ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }

{ وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَعْـمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَلاَ ٱلْمُسِيءُ قَلِيـلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ }

{ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لآتِيَـةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ }

{ وَقَالَ رَبُّكُـمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }

{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَـارَ مُبْصِـراً إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْـثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ }

{ إنّـا لننـصر رسـلنا والذيـن آمنـوا } بالتأييـد الملكـوتي والنـور القـدسي في الداريـن. { فاصـبر إن وعـد اللـه حـق } أي: احبـس النفـس عـن الظهـور في مقابلـة أذاهـم، واعلـم أنـك سـتغلب حـال البقـاء والتمكـين، إنّـا غالبـون { واسـتغفر } لذنـب حالـك بالتنصـل عـن أفعالـك { وسـبح } بالتجريـد { بحمـد ربـك } موصوفـاً بكمالـه دائمـاً،

أي: مـا دمـت في حـال الفنـاء لا تأمـن التلويـن بظهـور النفـس وصفاتهـا، وجـب عليـك الصـبر والاسـتغفار والتجريـد عـن الأوصـاف التـي تظهـر بهـا النفـس، والتحقـق باللـه وصفاتـه، فـإذا حصـل لـك مقـام الاسـتقامة والتمكـين حـال البقـاء بعـد الفنـاء فذلـك وقـت الغلبـة وظهـور النفـس والوفـاء بالوعـد.

{ وقـال ربّكـم ادعـوني أسـتجب لكـم } هـذا دعـاء الحـال، لأن الدعـاء باللسـان مـع عـدم العلـم بـأن المدعـوّ بـه خـير لـه أم لا دعـاء المحجوبـين، وقـال اللـه تعـالى:

{ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ }[الرعد، الآية:١٤]

أي: ضيـاع. وأمـا الدعـاء الـذي لا تتخلـف عنـه الاسـتجابة فهـو دعـاء الحـال بـأن يهيـىء العبـد اسـتعداده لقبـول مـا تطلبـه ولا تتخلـف الاسـتجابة عـن هـذا الدعـاء كمـن طلـب المغفـرة، فتـاب إلى اللـه وأنـاب بالزهـد والطاعـة، ومـن طلـب الوصـول فاختـار الفنـاء، ولهـذا قـال تعـالى: { إنّ الذيـن يسـتكبرون عـن عبـادتي }

أي: لا يدعوننـي بالتـضرّع والخضـوع والاسـتكانة بـل تظهـر أنفسـهم بصفـة التكـبر والعلـوّ { سـيدخلون جهنـم داخريـن } لدعائهـم بلسـان الحـال مـع القهـر والإذلال إذ صفـة الاسـتكبار ومنازعـة اللـه في كبريائـه تسـتدعي ذلـك.

{ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ }
{ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ }
{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ }
{ هُوَ ٱلْحَيُّ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
ٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ }
{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ
مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }
{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ
طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ
وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }
{ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }
{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ }
{ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَابِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }
{ إِذِ ٱلأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ }
{ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ }
{ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ }
{ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئاً
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَافِرِينَ }
{ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ }
{ ٱدْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ }

{ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَـإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ }

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ }

{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَنْعَامَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }

{ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ }

{ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ }

{ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي ٱلأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }

{ ذلكم الله ربكم } أي: ذالكم المتجلي بأفعاله وصفاته الله الموصوف بجميع الصفات ربّكم بأسمائه المختصّة بكل واحدة من أحوالكم { خالق كل شيء } بالاحتجاب به { لا إله إلا هو } في الوجود يخلق شيئاً ويظهر بصفة { فأنى تؤفكون } عن طاعته إلى إثبات الغير وطاعته. مثل ذلك الضرب الذي ضربتم به لاحتجابكم بالكثرة يؤفك الجاحدون بآيات الله حين لم يعرفوها إذ يسترها إلى الغير { الذين كذبوا بالكتَابِ } لبعد مناسبتهم له واحتجابهم بظلماتهم عن النور { فسوفَ يعلمُونَ } وبال أمرهم { إذ } أغلال قيود الطبائع المختلفة { في أعناقهم } وسلاسل الحوادث الغير المتناهية ممنوعين بها عن الحركة إلى مقاصدهم { يسحبون في } حميم الجهل والهوى ثم { يسجرون } في نار الأشواق إلى المشتهيات واللذات الحسيّة مع فقدها ووجدان آلام الهيئات المؤذية بدلها، فاقدين لما احتجبوا بها ووقفوا معها من صور الكثرة التي عبدوها قائلين { لم نكن ندعو من قبل شيئاً } لاطلاعهم على أنّ ما عبدوه وضيعوا أعمارهم في عبادته ليس بشيء فضلاً عن إغنائه عنهم شيئاً.

{ ذلكم } العذاب بسبب فرحكم بالباطل الزائل الفاني في الجهة السفلية بالنفس ونشاطكم به لمناسبة نفوسكم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق له
{ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها } لرسوخ رذائلكم واستحكام حجابكم
{ فبئس مثوى المتكبرين } الظاهرين برذيلة الكبر.

{ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُمْ مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }

{ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ }

{ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ }

{ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم }
أي: المحجوبون بالعقول المشوبة بالوهم وبمعقولهم الخالي عن نور الهداية والوحي، إذ جاءتهم الرسل بالعلوم الحقيقية التوحيدية والمعارف الحقانية الكشفية، فرحوا بعلومهم وحجبوا بها عن قبول هدايتهم واستهزؤوا برسله لاستصغارهم بما جاؤوا به في جنب علومهم، فحاق بهم جزاء استهزائهم وهلكوا عن آخرهم، والله أعلم.